الرّاوي

الجزء الثالث من السنة الثانية

١ شباط * فبراير * سنة ١٨٩٠ * الموافق ١٢ جمادى الاخرى سنة ١٣٠٧

الزهرة

اذا صفا لك وجه الجو وتمزق نقاب الغيم عن محيا الافق وهزمت جيوش الليل عساكر النهار فنزّه لحاظك في القبة الزرقاء واعجب لجمالها الفتان وسبح بحمد مدبر الاكوان · واذا تغزلت بجمال النجوم وحسن الكواكب فلا تنسَ زهرتها الساطعة التي تتلألأ بنور بهائها وتتلمع بساطع ضيائها ترافق الساري فيحلو لهُ السمر وتضيء عليهِ فتغنيهِ في ليلهِ عن القمر · والزهرة اضوأ السيارات واتمها حسنًا واكثرها جمالاً وبهاء فلذلك دعا اهل الزمن الغابر الهة الجمال باسمها · ولقد احسن فيها شاعرنا الخليل اليازجي رحمهُ الله حيث قال :

انظر الى الزُهرة بين الزُهرِ كحجر الماس إزآء الجوهرِ
وهّاجةٌ مبهجةٌ للنظر ساطعةٌ بلا أذى للبصر
إلهة العشق لبعض البشر قد عبدوها في قديم الأعُصر
ماسميت كذاك الاَّ اذ دري بانها تعشقُ عند الاكثرِ
لمـا لها من الجمال النضر تفترُّ عن مثل عقود الدُرر
ضاحكةً من زحلٍ والمشتري والارض مع عطاردٍ والقمر
تهزأُ بالمرّيخ حيثُ تزدري نبتون مع أورانسٍ في الاثر
سيّارةٌ في فَلَكٍ منحصر لكنَّما انوارهـا لم تُحصر

و ولدت الزهرة على زعم البعض من المشتري وديونه وقال اخرون انها ابنة الزبد الطافي على وجه الامواج بمعنى ان عبادتها دخلت اليونانية بواسطة مراكب اجنبية · ولقد جاء في خرافات اليونان ان الزهرة ظهرت في بادىء الامر على سطح البحر ثم ارتفعت الى الاوج مقرّ الالهة فعدّت في مصافهم وزوجها المشتري اله الالهة بفولكان وكان من اقبحهم وجهًا واشنعهم منظرًا فاتهموها بالخيانة ورموها بالميل عنهُ ونسبوا اليها وقائع عشق مع سكان الاوج كثيرة فقالوا انها تعشقت المشتري فولدت منهُ الالطاف ثم مالت عنهُ الى المريخ وما زالت تعشق وتحب الهًا بعد آخر وتلد من كل واحد اولادًا حتى تعشقت مارس اله الحرب فولدت منهُ الزهوة والحب · قيل ان فولكان دهمها مرة وهي تواصل محبوبها فانتقم من الاثنين بان ربطهما كما كانا بحبل وجرَّهما هكذا الى مجتمع الالهة فعرضهما للانظار بين الضحك والسخرية · ولما تبارت الزهرة ومينرفا الهة الحكمة في مضمار الجمال والحسن حازت الزهرة

قصب السبق وشُهد لها بانها اجمل البشر واحسن الالهة بل انها آية الجمال والسناء ونفس الحسن والبهاء . وكانت ربة الحسن كثيرة الميل الى اهل تروادة فلما انتشبت الحرب بين هذه المدينة وملوك اليونان الذين تألبوا عليها وحاربوها عشر سنين متوالية ولم يفتحوها الاَّ باسلحة هرقل جاهرت الزهرة بمعاداة بقية اليونان والانتصار للترواديين فتركت مقامها العالي وسقطت الى الارض فاخترقت صفوف العساكر ونزلت حومة الوغى وقاتلت مع الترواديين قتالاً شديدًا وأبلت بلاءً حسنًا ولكنها اصيبت في معركة اومضت فيها المرهفات ولمعت الاسنة بجرح بليغ اذ رماها الملك ديوميذ بسهم فاصاب منها مقتلاً ولكنها كانت من غير البشر الهة لا تموت فحقدت الزهرة عليهِ واقسمت لا تذوق المنام الاَّ بعد الانتقام فارسلت من كنانتها سهماً سقتهُ الغرام فاصاب فؤاد امرأة الملك فجرح وبرح ولم يبقَ فيهِ لغير الهيام بالشبان الملاح مطرح . وكانت خيانة المرأة حقاباللامير شفت بهِ الزهرة غلة حقدها

ولقد لقبوها باسماء شتى واولوا تلك الاسماء الى معانٍ مختلفة واشتغل شعراء الاقدمين بالتغزل بها ولهم فيها القصائد الرنانة والاشعار الطنانة واقاموا لها المعابد وشيدوا الهياكل فحرقوا فيها البخور وذبحوا الذبائح وقدموا القرابين . واكثر من تمادى في عبادتها القبرصيون فانهم اتخذوها من دون الالهة الاخر معبودًا يسجدون لهُ ويصلون اليهِ آناء الليل واطراف النهار . وكانوا يرسلون حسان العذارى اللواتي تم جمالهنَّ واكتمل بهاؤهنَّ وحط الحسن عندهنَّ رحلهُ الى هياكل الزهرة فيخلعنَ في عبادتها العذار ويتهتكنَ في حبها ومحاكاة مرويّ اعمالها

وكان الرومانيون يجلونها كأم ويعتبرونها اعتبار الوالدة الحنونة ويقدمون لها كل اكرام واحترام · ووصل امرها سوريا فسماها السوريون استارة او اشتورة وقالوا انها امرأة الشمس فاجلوا مقامها وخصصوا لها الورد والريحان · واختلق بعضهم للجمال الهة اخرى لقبوها بالزهرة — اورانو وزعموا انها السماء واخرون انها الهة الهوى العذري · وكثيرًا ما وهم اهل العصور الخالية ان ربة الحسن تسكن السيار المدعو باسمها فلذلك كانوا يصورونها لامعة بالحسن ساطعة بانوار البهاء صبية عارية جميلة باسمة طورًا فوق الامواج وتارةً على صدف البحر واخرى في مركبة يطير بها الحمام· وقد نسب اليها الشعراء طوق جمال يكسب من تلبسه حسنًا وبهاء

ولم يهم الشعراء وحدهم بجمال الزهرة الفتانة فكم شغلت محاسنها الموهومة قلب المصورين وفتنت عقول النقاشين فابدعوا في صورها وتماثيلها وافرغوا في الاشتغال بها جعبة فنهم وغاية جهدهم وجاؤا بها كأنما هم يمثلون للعين صورة الجمال او يجسمون للبصر الحسن والبهاء في تمثال

ولهذه الالهة تماثيل شتى وصور عديدة تكاد لاتحصى واكثرها قديم ازدانت بهِ المتاحف بعد المعابد والقصور فحفظت لتلك الايام ذكرى جهالة وغباوة يخجل منها اهل هذه العصور

اما اشهر هذه التماثيل واكثرها اتقانًا فهو التمثال المعروف بزهرة ميديسيس يمثل الهة الحب في ابهة الجمال وباهر الحسن والكمال قائمة كعذراء دهمتها العين وهي عارية فاحمرت خجلاً ونظرت الى الارض حياء · وهو الان في متحف فلورنسا من اعمال ايتاليا · ويعادلهُ في اتقان الصنعة

وحسن العمل التمثال القائم في متحف نابولي (ايتاليا) واسمهُ زهرة كاليبج ولكن منظرهِ اقل من منظر الاول عفة وطهارة فلذلك كان اقل منهُ بهاء ورواء لان حمرة الخجل ونظرة الحياء تزيدان الجمال رونقًا وسناء

ومنها زهرة ميلو وهو احسن تماثيل متحف اللوفر في باريس يمثل الهة العشق في موقف من النبل والعظمة والجلال لا تقوى على وصفهِ الاقلام · وسمي ميلو لانهُ وجد في جزيرة بهذا الاسم عام ١٨٢٠ ولها عدا ما ذكرناه تماثيل وصور عديدة لا نتعرض لذكرها لكثرتها · ولو شئنا ان نستوعب وصف كل ما عمل من اجلها وايراد كل ما قيل في شانها للزمنا لذلك شرح طويل لا موضع لهُ ههنا

هذا ما وقفنا عليهِ من تاريخ الهة الحب وربة الجمال اوردناه تفكهة للقراء وعبرة للعشاق ليعلموا ان الغرام لا بدَّ معهُ من العذاب ولكن عذابنا فيهِ مستعذب



في كل وادٍ اثر من ثعلبة

﴿ان كنت ريحًا فقد لاقيتِ إعصارا﴾

— لا اخشى في الحق لومة لائم فالحق لا يستر بالاصابع ولا يطفىء بالافواه ما تداولت الايدي عدد الراوي الاخير حتى بدت السنة الوشاة كالاراقم تنساب بسم السعاية قصد الوقيعة بي فكأَن "درن درن" وهو قرع جرس صغير اقلق سمعهم فقاموا ينادون بالباطل وقد لا يعدم الباطل

انصاراً ولكن الباطل مولى يصلي انصاره ناراً فبشر اولي الغواية بانهم سيلقون جزاء ما جنت ايديهم ولكل امرىء ما قدمت يداه

انا ثعلبة لي في كل وادٍ أثر وفي كل مكان عين ولقد رأت عيني في احدى زوايا القاهرة ثلثة اقانيم تجمعوا على عدد الراوي كأنهم على فريسة ووضعوا المنظار فما تراهم يرصدون ... وسمعت اذني منهم لغطاً فهل كانوا على بعضهم يخطبون ... انما كانوا بالشرّ يتآمرون . رأوا موضع دسيسة فقالوا في انفسهم لا ندعها تفلت وثعلبة بما كانوا يضمرون عليم ... فعلامَ يبطن المرجفون نوايا الشرّ وهم في الظاهر يبسمون ويرحبون . لقد برح الخفاء وظهر ما كانوا يسرون فلله من قال :

ان الافاعي وان لانت ملامسها عند التقلب في انيابها العطبُ

ولا عجب من تحامل هوءلاء الجماعة عليّ بالشر فلقد عُرفوا منذ نشأة امرهم بعداوة الحق وحب الاستقلال بالعمل والاستبداد بالكلمة فهم يسعون (ويخفق الله سعي المفسدين) بضر غيرهم ليخلو لهم الجو . ولي من ماضي اعمالهم وسابق سعيهم وكفرهم بالنعمة وجحدهم للاحسان برهان على صدق ما اقول.

افلم ترَ كيف ان هولاء المتعنتين رجعوا فيما مضى بالعداء على الذين احسنوا اليهم وجاهروا بتغليط اساتذتهم والذين قرأوا العلم واللغة عليهم . وهذا شأنهم في كل مكان وزمان فليس بعجيب ان رأيتهم يفتأتون عليّ بالشر ويتآمرون بالضر . على انني لا اود اصلاء نار الشحناء ولكنني لا اصبر على العداء فهذا نذيري الى القوم الذين اكتفي الان معهم بالتلميح عن التصريح فان امسكوا كفوا انفسهم والاَّ فانني لا اعدم ما اريهم بهِ الماضي متقمصاً

بالحاضر فيعلموا ان التحكك بالرجال ليس سهلاً وان السعي في ظل الاضرار بالغير لم يكن بمدعي العلم اهلاً · وان كان قد غرّهم ما رأوهُ مما يعدونه في تطاولهم على بعض ذوي الوجاهة والحسب نصرة وهو في واقع الامر ذل وانكسار فليفيقوا من سكرة الحاضر وينظروا غدهم ان بالنتيجة والعاقبة يعرف الانسان فيكرم او يهان

﴿ التهانيء ﴾

لا شك ان الحديث في هذا الموضوع بعد ما سبق لي من انتقاده يُعدّ من باب تحصيل الحاصل ولكن لا بد من التذكير عسى تنفع الذكرى · على اني اجهد نفسي بالاختصار فلا تخشَ الملل:— ما غرضكم يا قومِ من هجر المنازل والخلان ومفارقة الاقارب والاخدان والجري تحت السيل الهامل او الحر القاتل اياماً بطولها في لباس العيد يحملكم تيار المعايدة من مكان قريب الى مكان بعيد · · · تقولون انها فروض التهاني فما ضر لو قمتم بها في مجتمعات عامة كالمعابد حيث تؤدون فروض العبادة · ولماذا لا تهنئون بعضكم بالعيد او بموسم اخر كرأس السنة مثلاً قبل خروجكم من المعبد ثم تخصصون سائر النهار لحظكم وراحتكم مع الاهل الاخصاء والاحباب الخلصاء · · · لقد مرَّ بنا ايها الراوي منذ الخامس والعشرين من شهر كانون الاول (دسمبر) الى منتصف كانون الثاني (يناير) ايام آه ما اصعبها ايامٍ قامت فيها قيامة الناس وخلت المنازل من الرجال وتحملت النساء ثقل وطأة الاستقبال بما فيهِ من مواجب التبرج والزينة والضيافة والتلطف ومحادثة كل زائر بما يقتضيهِ سنهُ وذوقهُ ومنزلتهُ وعلمهُ · ولا يخفى ما في

ذلك من خشونة المركب على نساء بلادنا وما في مثل هذا الاستقبال من التعرض لما يخشاه ويتجنبهُ اكثر ارباب العائلات التي لا تزال محافظة على بعض التقاليد العربية الشريفة التي لم يختل نظامها الاَّ بعد ان وبئت البلاد بمفاسد الاجنبي

ولولا انني اود الاختصار لافضت في هذا الموضوع المهم ولكنني اخشى ان تنفتح بهِ تحت صرير القلم ابواب يصعب سدّها فلذلك اقتصر على كلمة ازفها الى القراء رجاء بان يتمعنوا فيما اقولهُ ويكفوا انفسهم موءونة التعب والمشقة وضياع الوقت الى غير ذلك مما يتحملونهُ ويقاسونهُ في ايام الاعياد والمواسم

الى بعض ... الشعراء

الشعر صعبٌ وطويل سلمه　　اذا ارتقى فيهِ الذي لا يعلمه
زلّت بهِ الى الحضيض قدمه

فما كل من تناول قلمًا وان كان نجيبًا لبيبًا يسمي للشعر قيصر ويكون فيهِ ذا نصر انما للشعر رجال فمن طمع فيهِ من سواهم لم يكن الاَّ على غرور فيخبط فيهِ خبط عشواء (يريد ان يعربه فيعجمه) اما ما حدا بي الى هذا القول فهو انني اطلعت في الاسكندرية فالقاهرة على قصيدتين في تهنئة باشا وبيك اذا صفّت الشعراء فناظماها " ولا حياء في الانتقاد " من الصف الرابع الذي قيل في شعرائهِ : وشاعر لا تستحي ان تصفعه ... هذا وانني استغفر لهذا القول حضرات الشعراء المجيدين الذين لا اعنيهم بهذا الكلام وارجو من كل شويعرٍ ان يحمل نصيحتي محمل الاخلاص فلا يعرض بضاعته قبل

ان يحسن حياكتها

﴿ التاريخ ﴾

٩٠٥ – من اهمّ وقائع هذه السنة ان لويس ملك البروفنس الذي اقسم في السنة التسعين "كما مرَّ في الجزء الاول من هذه السنة" على احترام حدود ايتاليا والامتناع عن ان يجرّد في وجهها سيفاً حنث بيمينهِ تخلصاً من تقريع امهِ التي اوسعتهُ منذ عودتهِ من موالاة ايتاليا توبيخاً وتعنيفاً فجيش الجيوش وسار في مقدمتها يفتح البلاد حتى دخل رومية عنوة ونودي بهِ ملكاً على لومبارديا وتناول من يدي البابا تاج الامبراطورية ولكن بيرنجه لم يمهله ففاجأه في فيرونه واسره ولم يطلق سبيله الاَّ بعد ان فقأ عينيه . فعاد ذلك المسكين الى مملكته واستمرّ وهو اعمى على عرش الملك حتى جاءتهُ الوفاة في سنة ٩٢٣

وفي هذا العام كانت اول غزوات الهنغاريين لفرنسا فعاثوا في مقاطعة اللورين وخرّبوا وغزوا المجامع والاديرة

ومما يذكر ايضاً من حوادث هذا العام ان رولُّون رئيس النورمنديين اعاد الكرة على فرنسا فاحرق مدينة نانت وغزا انجر وسومير وتور وسواها وارسل على باريس جيشاً فبعث كارلوس البسيط باسقف روين وسيطاً لطلب الهدنة فنال من رولّون هدنة عام كامل . فلما انقضى الحول قام رولون بجيوشه للغزو على ضفاف نهر اللوار فحاصر مدينة شارتر ولكنهُ خذل امامها وانكسر شر كسرة . وقد روى الرواة ان كسرتهُ كانت على يد اسقف البلدة حيث خرج تتبعهُ طغمات القسس والكهنة ينشدون صلوات الجنازة

ويرددون الالحان المحزنة ومن ورائهم جماهير الشعب يسيرون خافضي الرؤوس صامتين كأن على رأسهم الطير فالقى منظرهم في قلوب النورمنديين رهبة ورعبًا فولوا الادبار وفرّوا هاربين لا يلوي اولهم على اخرهم واضطر رولون ان يتبعهم فاغتنم الفرصة قواد الجيوش الفرنسوية واعملوا السيف في ظهور المنهزمين واثخنوا فيهم حتى بددوا شملهم وهزموهم شرَّ هزيمة اما رولون فانهُ ثأر هزيمتهُ بتدمير كل ما مرَّ بهِ من البلدان والقرى وكان يقتل الرجال والنساء والاطفال فلا يرحم شيخًا ولا يعفو عن صبية ولا رضيع حتى جرت الدماء انهرًا وصارت الجثث جبالاً فاشفق كارلوس من زيادة الخراب فانتدب اسقف روين لان يعرض الصلح على رولون فيوليه الفلاندر ويزوجه الاميرة جيزل واشترط عليهِ ان يعتنق الديانة المسيحية فرفض رولون قبول الفلاندر وطلب نوستريا (هي احدى ممالك الفرنك في ذلك العهد) فردَّ كارلوس طلبه

فلما رأى رولون ما آل اليهِ الامر سار بمن بقي من جيشهِ فدخل مدينة روين ورفع اسوارها وقوى حصونها ومعاقلها واقام فيها يغير تارةً على املاك فرنسا ويذهب طورًا الى انكلترا لامداد ملكها ألفريد الذي كان لهُ معهُ صداقة وولاء

اما فرنسا فانها ساءت على ايام كارلوس البسيط حالاً ووهنت قواها وقلّت مواردها وضعفت فيها كلمة الملك وحطَّ نفوذه فصار الامراء والموالي يتنازعون اقتسامها

هذا ما ارويه لك من تاريخ هذا العام ولهُ تتمة ساوافيك بها في الشهر

المقبل لانها طويلة والمقام حرج

﴿ خطرات افكار ﴾

الناس فريقان فريق يريك الحقائق ولا يطلب عنها اجرًا وآخر يبدي لك الضلال ويكلفك العطاء سرًا وجهرًا

ان البلاد التي تعتبر الانتقاد مذمة وقدحًا لهي بلاد لم تتعدَّ بعد حدود الطفولية في امر الحضارة والعمران

لم ارَ عاقبة اكثر شرًا من عاقبة الاستبداد والبغي فانهما يلقيان بصاحبهما في وهدة السخط العام فتبغضهُ ابناء البلاد وتدور عليهِ الدوائر

اذا حكمّت فلا تستبد لئلا يجد عدوُّك موضع نقصك ويبعد عنك صديقك

ليس للمستبد صديق الاَّ في ايام دولتهِ وما هي بالصداقة ولكنها الرهبة والخوف يستوليان على فؤاد الضعيف الذي لا يقوى على المعارضة فيظهر الرضى والولاء ويبطن السخط والعداء

العار كل العار في ان تخدع قومًا بسطاء وتحبب اعداءهم اليهم طمعًا في درهم ذلك العدو وديناره

ان من يستخدم رجالاً لقضاء مآرب ونوال اغراض تخالف مصلحتهم وهم يفعلون ما يأمر بهِ حبًا بكسب المال كان يحتقرهم في الباطن وان يكن يظهر لهم في الخارج الاكرام والرضى

ضرب احدهم مثلاً فقال : عقد العلماء في مدينة كذا ندوة ادبية وكان يجتمع اليها في مساء كل يوم قوم فلاسفة عقلاء فيتباحثون ويساجل بعضهم بعضًا

بكل تادب واحترام فيصلون بالبحث والمساجلة الى اكتشاف الحقيقة وتقريرها . فبينما كانوا ذات ليلة مشتغلين بالبحث في مسئلة علمية ذات شأن وقد غصَّ النادي حتى احنبك طرفاه بالمتفرجين من طلاب العلم وراغبي الاداب قام من دون الحاضرين رجل تلوح على وجههِ سيماء الادعاء فقال يا قوم انكم لمخطئون فيما تقولون قالوا هات برهانك قال انما برهاني قولي وكفى بان اقول حتى اصدّق قالوا انما العاقل من أيد قولهُ بالحجة الدامغة وها نحن نورد لك البراهين والادلة . واوردوا من الشواهد والحجج على صدق قولهم ما ازهق الباطل ورفع عن الحقيقة حجابًا كثيفًا وحمل الحضور على تصديقهم ونبذ دعوى المغالط . اما هو فلما رأى افتضاح امره وسقوط الحجاب عن جهلهِ وغيهِ عمد الى المهاترة والسباب فقام وقد اكفهر وجههُ وصاح بالعلماء والافاضل المجتمعين : انما انتم قوم جهلاء وادعياء لا يعبأ بقولكم فالقول قولي وكل من لا يعتقد معتقدي فجاهل ساقط . قال الراوي فلما رأى الحكماء مصير المناقشة الى السفه وخروجها عن الحد الواجب ايقنوا ان الرجل جاهل مكابر لا يذعن للحق وانهُ ممن يحسبون المناقشة بكثرة الكلام والتطاول وان من الواجب على المعارض في امرٍ ان يثبت رأيه ولو ظهر فساده فنبذوه ظهريًا وقرروا فيما بينهم ان يدعوه وشأنه يهرف بما لا يعرف بدون ان يعيروه اذنًا او يردوا عليهِ جوابًا . .

اشعار ولطائف

اخصص باب الشعر في هذا العدد لما قيل في الرياحين والزهور وما شبهوا بها فاسمع : قال بعضهم في الشقيق

حيتهُ بشقائقٍ في مجلس ورأى الرقيب فشق ذاك عليهِ
فاحمر من خجلٍ فانبت خدهُ اضعاف ما حملت يداي اليهِ

ولاخر في مثل ذلك

لو لم أُعانق من احب بروضة احداق نرجسها الينا تنظرُ
ما انشق جيب شقيقها حسداً ولا بات النسيم بذيلهِ يتعثرُ

وقيل ان ابن الرومي زار قبر اخيهِ يوماً فوجد الشقائق قد نبتت على قبرهِ فانشد يقول

قالت شقائق قبرهِ ولرب اخرسُ ناطقُ
فارقتهُ ولزمتهُ فانا الشقيق الصادقُ

وقال بعضهم في النرجس

اقول وطرف النرجس الغض شاخصٌ اليَّ وللنمام حولي المامُ
ايا رب حتى في الحدائق اعينٌ علينا وحتى في الرياحين نمّامُ

ومما قيل في الورد

طاب الزمان وجاء الوردُ فاصطبحا ما دام للورد انوارٌ وازهارُ
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة لاطولت للئام الناس اعمارُ

وفي اقوال العرب من هذا النوع شيء كثير يكاد لا يحصى فمن شاء زيادة الاطلاع فليطلبه في كتبهم اما انت فادنُ مني وخذ اللطائف عني :

حدث ظريف عن نفسهِ قال : خرجت ليلة مع صحب وطنوا النفس على الحظ والانس واغتنام فرص اللهو واللذات وانتهاب ساعات البسط والمسرات فنزلنا في حدائق وادي شحرور قرية يتغنى فوق اغصان رياضها

البلبل والهزار والشحرور فادرنا المدام على نقرات العود وبسطنا الطعام تعبق من حوله روائح الند والعود

والبدر في كبد السماء كأنهُ ملك لديه من النجوم جنودُ

وما زلنا نأكل ونشرب ونغني ونطرب حتى دنت بشائر الصباح واوشك الديك الصياح فتولى اصحابي الخمول ولعبت برؤوسهم الشمول فتوسد كل مكانه ونام فرفعت صوتي بالتسبيح لمن لا يغفل قط ولا ينام ... ثم انني صبرت عليهم

حتى بدا كسرى الصباح وأدبرت قوم النجاشي عن عساكر قيصر

فقمت من مكاني متأنيًا وصحت باعلى صوتي مغنيًا فقلت

— الصبح قد لاح قوموا يا تجار النوم .

وكنت اظن ان صوتي حسن وغنائي جيد فخاب ظني وخانني حدسي فانني بدلاً من تغريد الطيور في الجواب لم اسمع من كل ناحية سوى نهيق حمير يشقّ السحاب ...

هذه احدى حظيات ظريفنا وكم لهُ من النوادر التي تشغل قلب الولهان ولقد سمعت من فيهِ اقاصيص مجنون ضحكنا لها سواد ليلة بطولها وكنت اود ان اروي لك بعضها ولكن الشيطان انسانيها ... وفضلاً عن ذلك فلقد ردعني عن المزح والضحك خبر انقبض لهُ فؤادي حسرة على هلالي حسنٍ كسفا قبل التمام فانني قرأت في بعض صحف الاخبار الاجنبية ان فتى في ربيع الشباب غض الاهاب علق حسناء في زهرة الصباء فشكا اليها ما يلقاه من تباريح الجوى فتنهدت وقد اصابها ما اصابهُ من الحب والجوى

وقالت

بنا فوق ما تشكو فصبرًا لعلنا نرى فرجًا يشفي القلوب قريبا

فاقاما على تلك الحال اياما يتطارحان شكوى الغرام حتى قيض الله لهما الاجتماع فلبثا سنين يجنيان ثمار القرب في حدائق الحب وقد صفا لهما الدهر ونامت عين الرقيب ونادى بهما ملك الغرام الا فانعما فلقد خلا الجوّ للحبيب

ولكن الدهر ابو العبر ومشارب العشاق لا تصفو من الكدر فلم يدم للحبيبين صفاء الايام اذ رماها الدهر بسهم شقائهِ ففقد الرجل مركزه والتمس الرزق فلم ينلهُ فسدت في وجه الفتى ابواب الحيلة وضاقت عليهِ مذاهب الارتزاق فكأن الرزق خياله يسعى وراءه ولا يدركه · واقام على تلك الحالة اياما فتولاه اليأس وصغرت نفسه وضاق صدره عن احتمال المذلة واشفق من سوء حالة الحبيبة التي كان كلما نظر الى حاجتها يتمزق فوءاده وتتقطع نفسهُ بسهام الاحزان فوطن عزمهُ على الموت فالموت احلى من حياة مرّة · ولكنهُ استصعب فراق بدرهِ وشمسهِ فكاشفها بما اضمره ففضلت الموت معهُ على البقاء من بعده وبكت وقالت

— وما طيب الحيوة ولا حبيب وهل تروق الدنيا من بعدك في عيني او يمكن لفوءادي ان يحوي حبيبًا سواك · وحبذا الموت معك ان فيهِ الراحة من لوعة بعدك · واعلم ايها الحبيب يا نور عيني وريحانة روحي انني من يوم رأيتك احببتك فملكتك النفس التي ما عرفت الاّ هواك والفوءاد الذي ما سلاك فان شئت ان نحيى بالتقتير والعناء والاّ فبالموت معًا نجد

الراحة والهناء

وما مضت عليهما بعد ذلك الحديث ايام حتى وُجدا منتحرين في روضة غناء والفتاة ضمن لحد من الزهور والرياحين وهو راكع امامهـا كأنهُ يطلب الصفح عما جنت يداه وقد خرقت صدره رصاصة والى جانبهِ غدارة مفرغة فاستُدلَّ من ذلك على انهما قصدا تلك الحديقة ابموتا فيها محاطين بالاطيار والزهر وان الفتى قتل حبيبتهُ وكفنها بالزهور تكريمًا لشأنها ثم جثا امامها واطلق على نفسهِ الرصاص فلحقت روحه بروح من احب فذهبا شهيدي الغرام تترحم عليهما جماعات العشاق واهل الهيام

هذا ما قرأتهُ عن مصير هذين العاشقين ولعمر الله لقد صدق ابن الفارض رحمهُ الله حيث قال :

هو الحب فاسلم بالحشى ما الهوى سهلُ فما اختارهُ مضنى بهِ ولهُ عقلُ
وعش خاليًا فالحب راحتهُ عنـا فاولهُ سقمٌ وآخرهُ قتلُ

ولكن للحب شريعة لا تحتمل النصح ومن وجه اخرفانهُ اذا وقع الحب عمي البصر

هذا وانني اختم حديثي معك بايراد نكتة مضحكة تذهب عنك تأثير الحادثة المحزنة وهي :

ارسل اعرابي ولده يشتري لهُ رشاءً للبئر طولهُ عشرون ذراعًا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا ابتِ عشرون في عرض كم قال في عرض مصيبتي فيك يا بنيّ

هذا وانني استودعك الله الى امد قريب والسلام

مراسلات

ابواب المجلة مفتوحة لرسائل كتابنا الادباء وصفحاتها معدة لنشر نفثات اقلام شباننا الاذكياء ولكننا ننشر فيها ما يرد الينا كما يأتينا تاركين مسئوليته من كل وجهٍ على صاحبه غير متحملين تبعة شيء من ذلك

ليالي العصر في مصر

﴿ الليلة الثالثة ﴾

قال الناقد ابن البصير

لزمت غرفتي في ليالٍ ادلهمَّ بها الافق واشتد الحلك وتساقطت الامطار سيولاً فقضيتها وحيدًا لا يؤنسني في وحدتي سوى كتبي ودفاتري ولا ينادمني في خلوتي سوى قرطاسي وقلمي فكنت على حد قول من قال

دفتري مؤنسي وفكري سميري * ويدي خادمي وحلمي ضجيعي

وما زلت على تلك الحال حتى اقلقني تعب المطالعة وتولاني ضجر الوحدة فخرجت في ليلة صفا فيها الجو وراق وجه الفلك فظهرت النجوم تتلألأ في كبد السماء وقصدت الخلاء حيث اكون بعيدًا عن ضجيج المركبات ولغط المارة آملاً ان اجد بالسكون والهدو راحةً من التعب وباستنشاق الهواء النقي فرجًا من كربة الضجر وما برحت اجد السير حتى بلغت خارج المدينة فرأيت تلاً يمكن للواقف عليهِ ان يرى مدينة الاسكندرية وضواحيها فصعدت الى قمته فتجلت امامي المدينة كعروسٍ ترفل في حللها السندسية وهي تلك المدينة التي كانت ولا تزال مطمعًا للرجال العظماء ومحطًا للملوك والامراء فكم تقلبت عليها ظروف الزمان وحوادث الدهر وكم قاست في قديم ايامها من جور الفاتحين وظلم المستبدين ما

شوّه وجهها وكسف بهاءها على انها مع ماطراء عليهامن طوارق الحدثان وجور يد الانسان لا تزال غرة في جبين الدهر وشامة في وجنة العصر

وبينا كنت غارقاً في بحار التأملات امتع بصري ببهاء ذلك المشهد البديع واجمع في ذهني ذكرى ما قرأتهُ عن الاسكندرية في كتب المؤرخين واقرّب من مخيلتي رسم ما كانت عليهِ في الازمنة الغابرة وماصارت اليهِ في الايام الحاضرة سمعت صوتاً ينشد ابياتاً لابن فهدو يقول:

وكم ليلةٍ سامرت فيها نجومها | كأني راعٍ ضلَّ عنهُ سوامها
كأنَّ الثريا والهلال ودارةٌ | حوتهُ وقد زان الثريا التئامها
حبابٌ طفا من حول رفرف فضةٍ | بكف فتاةٍ طاف بالراح جامها
كأن سنى الجوزاء اكليل جوهرٍ | اضاءت لآليه فراق انتظامها
كأنَّ سهيلاً والنجوم وراءهُ | صفوف صلوةٍ قام فيها إمامها
كأنَّ السهى صبٌّ سها نحو الفهِ | يراعي الليالي جفنهُ لا ينامها

فقلت في نفسي عاشق والله اصابهُ الحب بسهمٍ مبرح فهجر المدينة واتى يندب حظه على خلوةٍ وعجبت من هذا الاتفاق فكأن قد قدر لي أن القى ابن سرت من يشكو المصاب وان لا احظى براحة البال سواء كنت في قلب المدينة او على رؤوس الجبال فلقد صدق من قال

ليس يخلو المرء من ضدٍ ولو | حاول العزلة في رأس الجبل

فخففت الى جهة الصوت لاستطلاع حقيقة الامر ولكني توقفت عن التقدم لتصوري بان المنشد لم يات تلك الناحية الاَّ ليخلو لهُ الجو ويبتعد عن الناس فصرت اقدم رجلاً واؤخر اخرى واذ كنت بين الاحجام والاقدام طرق اذني تنهدٌ عميق وأنةٌ فؤادٍ كليم فلم يعد لي طاقة على الصبر فخطوت بضعة اقدام فلاح لي فتىً معتدل القامة جميل الوجه تدل ملابسه على الغنى والرفاهة فبادرتهُ بالتحية والسلام فردها لي بارق الفاظٍ واعذب كلام فقلت لهُ: لقد اثرَّ فيَّ تأوهك وما اظنهُ الاَّ عاقبة غرامٍ اذا حل في القلوب الرقيقة اذابها

قد كنت اسمع بالهوى فاظنهُ | شيئاً يلذ لاهلهِ ويطيبُ
حتى ابتليت بحلوهِ وبمرّهِ | فالحلو منهُ للقلوب مذيبُ

— لقد خاب ظنك واخطأ سهمك فلستُ بعاشقٍ ولم يدخل الهوى قلبي ولكني كنت

مغرمًا وبليت بهوان الحب اذن لهان عذابي وعذب مصابي •

— عجبًا فما اذن سبب الشكوى والانفراد فهل لك ان تشرح لي الخبر علّي اخفف عنك بعض ما بك

— لا تطمع في ذلك فقد آليتُ على نفسي ان اكتم حسرتي واخفي لوعتي فلقد قيل

اياك ان تدري يمينك ما يدور على شمالك

— نعم ما ذكرتَ ولكن لا يستغني المرء عن صديقٍ يشكو اليهِ مصابهُ فيسليهِ او يساعده على بلواه

فلا بدَّ من شكوى الى ذي مروءةٍ يوءسيك او يسليك او يتوجع

فلما سمع كلامي اطرق برهةً ثم قال : ها انا اقص عليك سبب حزني والباعث على انفرادي لتعلم ان لكل مخلوقٍ في الارض مصابًا ولو مس بانامل العز اطراف السهى فانا ابن احد تجار هذه المدينة الذين تكفيهم تجارتهم للقيام بنفقاتهم فقط ولم يكن لي سوى اختٍ كانت بديعة الحسن والجمال وغاية في الرقة واللطف وعلى جانب عظيم من الفهم والعلم وكان كل منا يحب اخاه حبًا مفرطًا فلا نفترق لحظة عين وكانت الاعوام تمر بنا ونحن على غاية ما يرام من صفاء العيش وهنائهِ وكأني بالدهر الخوءون قد حسدنا على اجتماعنا وابى الاَّ تفريق شملنا فابتلانا بما لم نحسب لهُ حسابًا فان اختي لما بلغت من العمر ما يوءهلها للزواج طلبها احد الشبان الاغنياء المتمولين وكان قبيح السيرة مذموم الخصال فسر والداي بهذا الطلب وفرحا فرحًا لا يوصف رغبةً في المجد والثروة والحصول على مقامٍ رفيع بين اعيان المدينة ووجهائها بانتمائهما الى أُسرتهِ وضربا صفحًا عن صفاتهِ الرديئة . اما انا وشقيقتي فلم نكن نميل اليهِ بل كنا ننفر منهُ نفورًا غريبًا لما اتصف بهِ من الخصال القبيحة وطالما سعينا باقناع والدينا بوجوب ترك هذا الزواج وطالما قاومنا ارادتهما ولكن كنا كمن يضرب في حديدٍ بارد فان غنى الشاب قد اعمى بصيرتهما فلم يجيبا طلبنا ولم يراعيا خاطر الفتاة وعدم ميلها اليهِ وشدة نفورها منهُ وهكذا لم يمضِ الزمن القليل حتى اقتربت ساعة الزواج فاجبر والداي شقيقتي عليهِ وهي اذ علمت ان لا مناص منهُ انقادت اليهِ صاغرةً فتم الاقتران ولكن على غير رغبتها ورغبتي

ولما كان زوجها كما تقدم القول سيء الطباع دنيء الاخلاق ولم يقترن بها الاَّ لجمالها لم يكن يعاملها معاملة المتزوجين الذين يحافظون على الواجبات المفروضة عليهم دينًا

وادبًا بل كان يسيء معاملتها باطنًا وظاهرًا و يستعمل معها كل انواع الاهانة والاحتقار وهذا ما كانت تخشاه قبل زواجها وترهب وقوعه علي انها لما كان لا بدَّ لها من احتمال المكاره رغمًا عنها اجتهدت ما استطاعت واستعملت كل قواها التي دلّت على كرم اخلاقها وشدة صبرها لتجعل ايامها اذا لم تكن سعيدة فلا اقل من ان تكون مرضية فكانت تعامله بالرقة واللطف غير ملتفتة الى اعماله السيئة وتصرفه الخشن محاولةً تليين طباعه وتدميث اخلاقهِ فلم تنجح مساعيها لان فطرته الرديئة كانت غير قابلة للاصلاح ولذلك اصبحت حياتها معهُ تعيسة وشقية فتنغص عيشها وضاقت عليها مذاهب الراحة وتملكها صغر النفس وكانت تزداد نحولاً يومًا بعد يوم كما كان هو يزداد قحة وشراسة لحظة بعد اخرى

فمضى عليها سنة وهي على تلك الحال بعيدة عن نعيم العيش وصفائهِ مصابة بتعاسة العمر وشقائهِ كاتمة عن الجميع سبب غمها خشية ان يتحدث الناس بامرها وكنت كلما اراها تنفرد في غرفتها تعض الاصابع ندمًا وتنحدر الدموع على وجنتيها اسفًا اجتهد ما امكن في تعزيتها وتخفيف بلواها وردها الى الصبر ولكنهُ اصبح لديها امرًا مستحيلاً

وحدث في ايام مرضها الاخيرة ان اضطرني الحال الى السفر لقضاء بعض مهام تستغرق ايامًا معدودة فودعتها على امل ان لا افارقها بعد عودتي مدى العمر لانها كانت تجد بقربي منها سلوة عظيمة ولكن قضت الظروف بالتغيب عنها شهرًا كاملاً كنت في خلالهِ كمن ضل عن رشده وفقد صوابهُ لانقطاع اخبارها عني فلما انقضت تلك المهام عدت على جناح السرعة فنعي اليَّ واحسرتاه ٠٠ خبر وفاتها . . .

وما لفظ هذه الكلمات الاخيرة حتى تنهد تنهدًا عميقًا ورفع صوتهُ بالعويل والنحيب وشرق بالدمع اذ اثرت فيهِ ذكرى تلك الشقيقة المحبوبة تأثيرًا عظيمًا فحزن في تلك الساعة حزنًا لا يوصف جعلني ان اشاركه فيهِ فتحدرت من عيني دمعتان سخنتهما للحال وعمدت الى تهدئة اضطرابهِ وطفقت تارةً اعزيه وطورًا الاطفه بما استطعت اليهِ سبيلاً

و بعد أن سكن جاشه عاد الى تتمة حديثه فقال : وكان في بيت اختي خادم امين نعتمد عليهِ في كل خدمةٍ ومهمة لوثوقها بسلامة نيتهِ وصدق طويتهِ فلما شعرت بقرب حلول الاجل استدعتهُ اليها ولم يكن في غرفتها احدٌ فلما وقف بين يديها قالت لهُ : ايها الخادم الصادق قد اخترتك دون سواك لاودعك وديعةً لعلمي بحسن خدمتك

وشدة امانتك فخذ هذه الذخيرة وسلمها لاخي يدًا بيدٍ حال عودتهِ من السفر واكون قد انتقلت الى رحمة الله واني اعتمد عليك في القيام بهذه الخدمة اعتمادًا يجعلني ان لا ارتاب بانفاذها فلا تخيب حسن ظني بك . فاقسم لها الخادم بعدم مخالفة امرها وهكذا عند عودتي اطلعني على ما قالته له وسلم اليَّ الذخيرة وقد اودعتها خطابًا اخيرًا خطتهُ باناملها الطاهرة وسطرتهُ بكلمات تمازج عباراتها العبرات وها هو فخذه واقرأه اذ لم يعد لي قوة على الكلام

فتناولتهُ من يده التي كانت ترتجف اضطرابًا واذا فيهِ ما يأتي

اخي العزيز :

حجبك البين عن العين فانتزف ماءها ليجعلهُ للشامت شرابا ووارك الفراق عن الاحداق فما اصعب النوى يزيد نار الجوى التهابا وابعدك السفر عن النظر فاحرمني من انس محياك ولبثت الى هذا اليوم نائيًا قبلك النسيم عني وحياك ولي يا منتهى الامل لسان لا يفتر عن ذكرك ومخيلة لا تنقطع عن تمثيل مراك فانت عزائي الوحيد على بلواي وانتَ انتَ انيسي وبالقرب منك مثواي وكلما وددت ان اكتب اليك اشعر من داخل النفس باضطراب يكاد يخمد الانفاس ويفقدني الحواس فامسك عن الكتابة على امل ان اجتمع بك فاذكر لك باللسان ما اعجز عن ذكره بالبنان

بليتُ برجلٍ ظالم غادر وخادع ماكر ليس في قلبهِ حنو ولا شفقة فقدَ العواطف الانسانية وشارك في طباعه ذوي الخشونة والهمجية فاصابتني من رميات سهمهِ نبال جوره وظلمهِ فلقيت الامراض والعلل وسئمت الحياة وتولاني الملل وانت تعلم ان ذلك كان بسبب والديَّ اللذين طرحاني ظلمًا وعدوانًا بين يدي رجلٍ لا يستحق ان يعد انسانًا فيا ليتني كنت منسيةً قبل ان تمر بي هذه المصائب ويا ليتني لم اخلق لاكون عرضة لسهام النوائب ولكن هو القدر لا مفرّ منهُ ولا مناص وهي الحياة تعيسة فبالموت لي منها خلاص . .

خشيتُ ان تدنو ساعة الوفاة مني وانت بعيد عني فبادرت الى كتابة هذه السطور فهي تذكّرك في كل حين بمن كنتَ سلوتها الوحيدة وملجأها الامين وبمن كانت تلهج بذكر اسمك اناء الليل واطراف النهار وهي الان تتمنى ان تحظى برؤياك اذ لم يكفها التذكار فاقبل يا ريحانة النفس عن بعدٍ قُبلي واستقبل خطابي هذا يحمل اليك كلمات الوداع الاخير من قِبلي وهيهات ان امتع النظر برآك قبل حلول اجلي . . اختك :

وبعد ان تلوت الخطاب وفي القلب لوعة واضطراب اعدتهُ اليهِ فتناولهُ مني وقال : اعلمتَ الان لِمَ اهجر المدينة المأهولة بالسكان وانفرد في هذا المكان اسامر النجوم واناديها لا يعلم ببكائي سواها ولا يدري بمصابي الأها . افلا يحق لي ان اندب على الدوام تلك النفس الطاهرة التي ذهبت فريسة الطمع والغرور حتى تتقرح الجفون وتستنزف مياه العيون والا يسوغ لي ان اكره الاقامة بين قوم وفي ديار لا ارى فيها سوى الجور والنكد . وهل يهنأُ لي عيش بعد وفاة من كانت لي بمثابة الروح للجسد .. فتبًا لتلك الايام التي مضت بيني وبينها على فراق اليم فانها احرمتني من وداعها الاخير وخلفت لي حسرة تلازمني الى الابد

اما انا فقد اثرَّ فيَّ حديث الفتى تأثيرًا عظيماً اخفيتهُ عنهُ وعمدت الى تعزيتهِ وتسلية خاطره حتى هدأ روعه وسكن ما بهِ من عوامل الحزن والغم فصحبتهُ معي حتى اذا وصلنا المدينة ودعتهُ وانصرفت راجعًا الى منزلي اقول في نفسي : سقيًا ورعيًا للعدل واثاره وقبحًا للظلم واضراره تبت يد المستبد في امور العباد وشدَّ الله ساعد السائر بالضعيف الى مراتب الاسعاد فمتى يا ترى يسطع نور الحق القويم فيبدد غيوم الباطل وغياهب الضلالة ومتى ينتشر نور الحرية الباهر فيمحو ظلم الاستبداد وظلام الجهالة . ان الانسان مع ما هو عليهِ في عصرنا من المعرفة والهداية لا يزال ينقاد كالاعمى الى الغرور والعدول عن محجة الصواب فبعض الاباء مع علمهم الاكيد بان الشاب الذي سيكون يومًا ما بعلاً لابنتهم هو قبيح الخصال رديء الفعال نراهم يغضون الطرف عن تلك الصفات الذميمة فيسلمون لذلك الوحش الضاري تلك النفس الطاهرة متمسكين بالغنى والثروة بحجة ان المال يستر كل عيب ويخفي كل قبيح وهي حجة لا يتمسك بها الاَّ الجاهل المكابر . وكثيرًا ما يحدث ان الابنة تجهل اطوار طالبها المذمومة وهي لو علمت بها واظهرت عدم ميلها لاجبرها والداها على الزواج وليس في وسعها مقاومة ارادتهما الى حدٍ تخشى معهُ اذاعة اقوال من شأنها خنض كرامتها وتأخيرا و اضاعة الغاية المعدة لها كل فتاةٍ . فلا لوم اذن الاَّ على والديها اللذين يتساهلان بزواجها المميت ويجبرانها عليهِ طمعًا بالجاه .. والثروة ولا ندري كيف يبيت الاباء والازواج بعد تضحية الفتاة على مذابح الظلم والاستبداد قريري العين ناعمي البال ينامون ملء جفونهم وامام مخيلتهم رسم تلك الفتاة الحزينة يطالبهم بما جنت ايديهم من ايات الجهل والغدر بل كيف ينامون وتشرق عليهم شمس النهار وهم لا يخشون هول الانتقام ولا يحسبون لثار المظلومة حسابًا ولا يرهبون لعدل القضاء عقابًا كأن

عين باري الانام غافلة عنهم واستغفر الله ان عينه ساهرة لا تنام . .
وفي ما تقدم من حديث الفتى عبرة لاولي الالباب حبيب بنوت

كشف الخبايا

بقلم صديقنا الفاضل ابرهيم بن ايوب

ثم عاد الى حديثه فقال وكنت اثق بصاحبي المذكور وثوقي من نفسي واعتمد عليهِ في قضاء اموري وكان اديبًا شريفًا قليل الكلام جسورًا على اني كنت اراه في اغلب الاحيان منقبض النفس كئيبًا ولطالما احببت الوقوف على كنه حالهِ ومصدر اكتئابهِ فلم اتوفق الى ذلك لما كان يخفيهِ من امره عني ولما كنت احاول استطلاع خفايا قلبه واوجه اليهِ بعض المسائل للاطلاع على شيءٍ من مكنونات سره كنت اراه يتأثر من ذلك كثيرًا فيردّني عن عزم الالحاح عليهِ ما اتبينهُ فيهِ من عدم الرغبة في كشف ما يزعجهُ وكان كثيرًا ما ينقطع عن زيارتي بضعة ايام حتى اذا رأيتهُ بعد ذلك لم يعتذر عن تأخير زيارتهِ ولم يطلعني على ما اوجب انقطاعه عني وكان صاحبي المذكور رجلاً معتدل القامة قوي البنية عضلي التركيب واسع الصدر قليل السمن عريض الاكتاف ابيض اللون يميل بياضهُ الى الصفرة خفيف العارضين حاد النظر صغير الاطراف تخالها اطراف فتاة ولكن ساعده كان شديدًا كالحديد وهو في نحو السادسة والعشرين من عمرهِ وكان انوفًا للغاية الى ما يتجاوز حد الاعتدال جوادًا كريمًا صادقًا فيما يقول ضنينًا بما لا يريد افشاءه على غير حقيقتهِ وكنت اراهُ يزداد اكتئابًا ونحولاً من يوم الى يوم حتى خشيت عليهِ من حالتهِ تلك ولما كان هو الصاحب الفرد الذي اتخذته من الناس احببت ان اخفف عنهُ بعض ما بهِ اذا تمكنت من ذلك وعولت على ان اصرف مبلغ اعتنائي فيما يزيل حزنه وانقباض نفسهِ ففكرت في ان اشاطره نقودي لعلهُ يكون في حاجة الى الدرهم غير اني ارتبكت في اختيار الطريقة التي تبيح مفاتحتهُ في ذلك بدون ان تدفعها حمية غيرتهِ وانفتهِ او انه يتخذ من ذلك سبيلاً للظن بترفعي عنهُ لما اعلمهُ من استمساكه بالعزة والارتفاع عن الذلة

وكنا نجتمع في منزلي من بعد العشاء الى قرب نصف الليل وكثيرًا ما كنا نقضي ليالينا

بدون ثالث وكانت زوجتي تتجنب مجلسنا ولا تحضره لانها لم تكن تحب الدخول في مواضيع ابحاثنا لاننا لم نكن نتكلم عن الازياء الجديدة (الموده) وعن اخبار الناس فكانت تفضل ان تبقى في غرفتها مع الخادمة وكنا ندعوها بعض الا... ان لتجلس معنا فكانت تجيب طلبنا على انها لا تلبث ان تظهر كدرها عندما نكون اخذين في الكلام على بعض الامور العلمية وعلى الخصوص عندما نتكلم في وجوب الاقتصار على الضروريات في لوازم المعيشة لانها كانت تقاوم ذلك مقاومة شديدة حتى يحمر خدها وتنشمر جوانب انفها ويطول عنقها وهي بين ذلك تشير بيديها دلالةً على الموضوع وكانت اكثر مناضلتها بلزوم التأنق في الملبس والزينة والتحلي بالجواهر على اعتقاد انها ترفع المتحلي بها في اعين الناس وان الحياة الدنيا بغير الزهو والتظاهر بالغنى لمن اشد العذاب وان النفس لا يجب ان تحتمل هذا الجسد سنينًا وتجهد ان يزيد زمن حملها اياه بتقديم القوت ولا يكون لها ما يسد فراغ ميلها واحتدم الجدال ليلة بينها وبين صاحبي وكنت انهنهٔ من شوط حدتها بايماض من طرفي فلم يفد ذلك شيئًا وظلت الحالة بينهما على اشتداد الى الساعة الحادية عشرة حتى قالت زوجتي: وانتم معاشر الرجال تفتخرون بانتصاركم علينا نحن الضعفاء وليتكم تقتصرون على ذلك حتى ان الرجل ليخدع المرأة ويتقرب اليها بالمودة فاذا وثق منها واستطلع خفايا قلبها غادرها منصرفًا الى غيرها او انهٔ يقابل محبتها بالخداع والاكاذيب وفي نهاية الامر بالاحتقار والتهكم ولعلك فهمت يا سيدي . وما انت على نهاية هذه الجملة حتى انتفضت ونظرت اليَّ كأنما انتبهت من غيبوبة سهوها وادركت مقدار الخطر الذي يترتب على هذا التصريح امامي وحاولت ان تدفع عنها الظنة او تجعل لعبارتها تبعًا تعود عليه جملتها فلم تتمكن من ذلك لما رأت في وجهي من ملامح حب الوقوف على الامر وفي نظراتي الجديدة التي القيتها عليها

اما صاحبي فتبسم تبسماً خفيفًا لعبارتها واجاب برزانة وامهال وقال يا سيدتي ان مغازي الحديث تنبعث من غايات في نفس المتكلم فتصيب غرضا في نفس المخاطب وقد تختلف بما يتداخل بينها من مباينة خواطر الطرفين فيشكل امرها وتلتف معانيها ولكل امرءٍ ما نوى واود ان لا تستنتزيدي في الامر بيانًا

وكنت اراقب اثناء ذلك حالة زوجتي وملامحها فرأيتها تحرك اعضاءها حركة غير منتظمة وتشد اكمام ثوبها تشاغلاً عن السماع او هي في ذهول عن امرها . ثم

رأيت وجهها قد علته صفرة الموت وابيضت شفتاها وغارت عيناها وكأن صاحبي احب تلافي الامر وصرف القلق عن خاطر زوجتي فقال لقد كانت نهاية روايتنا مضحكة جدًا حيث سدل الستار وظل المشخصون منظورين وكم من مرةٍ نهاكِ زوجكِ عن المباحثات التي توجب لكِ تعبًا وتنبه منكِ حاسات تضر بصحتكِ كما جرى لكِ الان من الانفعال وقد بدت في وجهكِ اشارات رد الفعل فانكنَّ معاشر السيدات شديدات التأثر وكأنكنَّ لم تخلقنَ الاَّ لممارسة الاشياء التي تناسب حالتكنَّ في اللطف على انهُ لم ينجح في هذا الاستدراك لان شدة التأثر قد ضربت بين استدراكه وبين عاقلة زوجتي حجابًا كثيفًا فلم تعِ قولهُ ثم رأيتها قد وضعت يدها على قلبها وكان يضرب ضربًا شديدًا ومع شدة ضغطها عليهِ لم تخفَّ نبضاتهُ التي كادت ترقص على وفاقها هيكل زوجتي المحروسة

فقلت لها ما لكِ لا تجاوبين. اجابت لا اعلم ما اصابني لانني اشعر بخفوق قلبي وارتخاء في جسمي ولربما يكون عاودني مرض صبائي لانهُ كثيرًا ما كان يمنيني بالاوجاع ويلقيني في فراش الالم قلت وما مرض صبائكِ فاعترض صاحبي الحديث وقال ارى السيدة تعبة وقد اثر في جسمها البرد فخير لها لو تنازلت الى قبول التناسي وذهبت الى فراشها والتفت اليها وقال هذا فيما اظن اوفق يا سيدتي ثم عمد فاخذ يدها واعانها على النهوض فلم تمانع وقامت فسلمت وخرجت وقبل ان تتوارى عن نظري بصرت بي وهي تبسم تبسمًا مكلّلًا وقالت قد فاتني ان اشكر حضرتهُ على اعتنائهِ بي والتمس منهُ الصفح عما ربما يكون حدث على غير قصدٍ مني اثناء المجادلة وعادت فشكرت صاحبي واعتذرت اليهِ بتوددٍ فائق اما هو فظل وجههُ كالحًا واجابها على قولها بغير احتفال زائد حينما كانت تكاد تترامى على قدميهِ

وبعد ذلك بقيت وصاحبي وقد خلا لنا الجو وكأنهُ لاحظ ارتيابي واوجس خيفةً عليَّ فاراد ان يسكن من جاشي ويبرد من شواظ غضبي ولكي لا يجعل سبيلاً لامتداد حدسي وتضارب ظنوني ابتدرني بقولهِ — لا ينبغي للعاقل ان يستسهل الدخول في امر ان بدت لهُ نهايتهُ سأتهُ ولا ان يحمل امرًا على غير محملهِ المشهور ويلتمس شيئًا ممن لا يقدر عليهِ فداخلني من تعريضه لما في فكري انهُ يعنيني واني المقصود في كلامهِ وهممت بالكلام فمنعني عن ذلك متابعتهُ الحديث فقال كم من مرةٍ رغبت الى السيدة ان تشاركنا في ابحاثنا وكانت العاقبة كدرها ومخالفة رأيها وتفنيد حجتها فلو كانت قوية الحجة فيما تود

تأ بيدهُ لاقتضى ان تخذ لمناضلتها رماحًا بدل هذه الحظوات

ولا انكر عليها انها ذات ادراك سام على ان قلة ارتياضها على هذه المواضيع والابحاث وتوق نفسها الى مضارعة اترابها وصاحباتها في الزهو واميالها التقليدية كل ذلك لما يصرفها عن منزعنا قلت انت تعلم مني علي من نفسي وتعلم اني لا اتقاعد عن نيل ما يطلعني على دخيلة ما رأيته الساعة منها لان ارتباكها في ختام حديثها لا بد من ان يكون له امر مضمر وهو ما احب الوقوف عليهِ

قال الراوي وبينا كان الصياد يقص حديثهُ دخل عصفور ووقع على كتفهِ فاخذهُ بيده فرأيت نملتنا المعهودة متماسكة على ظهر العصفور بين الجناحين فاخذها الصياد وادناها الى اذنهِ وقال هيه ام شمم .واصغى طويلاً وبعد ذلك اخرج ورقة من محفظة في جيبهِ وكتب عليها وبقي كذلك مدة ساعة وانا جالس كالصنم وكأنهُ قد فطن بي فنظر اليَّ وقال يسوءني بقاوءك على هذا الحال ولكني مضطر لاستقصاء اخبار النملة واظن انك في حاجة الى الاكل فهلم نتعاون على تحضير الطعام قلت الامر اليك في اي حالٍ شئت ثم عمد فاخرج من تحت سريره علبة فيها بيض دجاج مسلوق واخرى فيها زيتون فوضع الجميع على الطاولة واخرج من جارور الطاولة ثلاثة طيور من القمري مقلوَّة بالسمن واربعة ارغفة وجلس للطعام ودعاني فلم اتوقف ان بدأت بالاكل وفيما نحن ناكل سمعت حفيفًا قويًا يدنو منا بسرعة ثم لم يك ان تبعتهُ صرصرة شديدة كوقع حوافر الخيل على الزجاج فعرتني من ذلك رهبة وامسكت يدي عن متابعة الاكل فقال الصياد لا تخف هذا ملك الطير وما اكملها حتى دخل النسر يتبعه الخلد ثم قفز على كرسي بجانب الصياد وتسلق الخلد على رجليهِ حتى صار في حضنهِ ثم اخذ النسر يصرصر صررةً متتابعة والصياد مصغٍ مدة ثلاث دقائق وبعد ذلك رأيتهُ يضحك فكدت اجن وقلت له بالله عليك اخبرني عما يقول اجاب ستعلم ذلك فيما بعد ثم اخذ واحدة من القماري الثلاث وقدمها للنسر وقال له كل هنيًا يا ابا مالك وراقبهم وأتني بخبرهم قبحهم الله ووقانا شرهم قلت اسألك شيئًا واحدًا والتمس اجابة سؤلي قال قل قلت من هم قبحهم الله قال القتلة الاشرار اصحاب الخنجر فاني رأيت اليوم قومًا تامروا على سفك دم رجل صالح كريم لنيل مقاصد فاسدة فلا تستزدني الان وستطلع على ذلك في محله من سياق الحديث ثم رأيت الخلد يصوط اصواتًا متقطعة وياخذ في تشديدها وارسالها ويراوح (البقية تأتي)

نصيحة والدة

بقلم الاديبة الفاضلة السيدة سلمى قساطلي في دمشق

سيدي الفاضل صاحب مجلة الراوي الغراء

لقد عثرت وانا اطالع ما لديَّ من الكتب الفرنسوية على الارشاد الذي بعثتهُ المركيزة دي لامبور الى ابنتها ماري تريزا فوجدتهُ ارشادًا حوى من الحكم والنصائح ما يضمن الفائدة لكل واحدة من بنات حوَّا ويصلح ان يعد نصحًا لكل ابنة من والدة حكيمة . فرغبة في نفع بنات جنسي العربيات اقدمت على تعريبهِ مع ما انا عليهِ من قصر الباع وقدمتهُ لمجلتكم الغراء لينشر فيها فتعم فائدته

اما صاحبة هذا الارشاد فهي من مشاهير الكاتبات الفرنسويات ولها بين قومها مقام سامٍ في الفضيلة والادب وقد عاشت عمرًا طويلاً قضتهُ في ملازمة الاداب والكتابات المفيدة وتهذيب اولادها التهذيب الصحيح محتملة مقاومة اهل جيلها ساعية بثبات وراء مبدائها الحسن

واذ كانت سيرة حياة هذه الفاضلة تشخص حالة وافكار الجيل الذي عاشت بهِ بالنسبة للاناث وكان ذلك يشبه حالتنا الان على نوع احببت ان اصدّر ارشادها بملخص ترجمة حياتها اذ رأيت بان ذلك لا يخلو من الفائدة ويعطي نشاطًا لنسائنا فيتقدمنَ بالفضيلة بثبات فيبلغنَ في يوم من الايام ما بلغتهُ اغلب نساء اوروبا واميركا

ملخص ترجمة حياة المركيزة دي لامبور

ولدت هذه المركيزة والكاتبة البليغة الشهيرة في مدينة باريس سنة ١٦٢٨ وتوفيت سنة ١٧٣٣ وابوها هو ماركينا امير كورسيل ومحاسبجي مدينة باريس وامها مونيك ياسار وكلاهما من اصل عريف بالشرف ولما ولدت لهما المركيزة سموها تريزا وكانت هذه الابنة على غاية النباهة

وفي السنة الثالثة من عمرها توفي ابوها فتزوجت امها ثانية بفرنسوا ليكونه امير الروش وتيربان و باشامون الشاعر الحكمي المشهور والمصنف المعروف

اما المركيزة دي لامبور فمنذ طفوليتها اعرضت عن الملاهي التي تسر من كان بسنها واظهرت ميلاً شديداً للدرس والمطالعة فاوجب ذلك مسرة زوج امها وكان قد توسم فيها النجابة فساعدها على ميلها الغريزي واخذ يقدم لها افضل التصانيف المفيدة واجودها ويفرض عليها تلخيصهم ويحضها على اتباع مبادئهم والتمسك بعرى الفضيلة وكان لا يفتر عن تقديم افكاره الحكمية لها وتدريبها على السلوك المستقيم فكانت تقبل ذلك بكل فرح فنشأت كما كانت تتطلب غريزتها ويريد مرشدها عاقلة اديبة مهذبة وكاتبة بارعة فاضلة

وسنة ١٦٦٦ زفت على هنري دي لامبور النائب العسكري الملكي وحاكم دوقية ومدينة لوكسمبرج فرزقت منهُ ابناً وثلاث بنات فتوفي اثنتان من بناتها في سن الصغر وبقي لها ولدها هنري فرنسوا دي لامبور مركيز سان بري الذي صار النائب العمومي للجيوش الملكية وحاكم مدينة اوكسير وابنتها الثالثة ماري تريز دي لامبور التي زفت على لويس بويوال كونت

سان أليرسنة ١٧٠٣

وقد كرست المركيزة دي لامبور اوقاتها لتهذيب اولادها وتدريبهم على الفضائل والاداب والقواعد الحسنة السامية لانها اعتبرت بان ذلك فرض مقدس عليها ومن واجباتها ان تقوم بهِ وتضحي كل شيء عزيز في سبيله شأن الوالدة الحكيمة والام العاقلة واعتقدت بحق بان هذا الفرض الواجب هو اهم ما يفرض على النساء القيام بهِ في عالم الوجود. وقد بذلت جهدها لتطبع بالفعل في افكار اولادها تلك المبادي الجليلة التي تضمنتها كتاباتها الاولية النافعة ومع ذلك كانت تغتنم كل فرصة فراغ لترسم بها بنات فكرها السامي المملوء حكماً على القرطاس كي يحفظ لوقت مناسب فيكون منهُ نفع لابناء جلدتها اذ لم تكن تشاء نشر كتاباتها في جيلها حيث ان النساء الكاتبات والمؤلفات في الجيل الثامن عشر كنَّ عرضة لكل هزء وسخرية وما ذلك الاَّ لان الناس في ذلك الزمان قد اعتقدوا بانهُ لا يليق بالنساء ولا يحلو لهنَّ الاَّ خدمة البيت والزينة الظاهرة وما سوى ذلك عار عليهن وان العلم لا نصيب لهنَّ بهِ والمعارف حظ الرجال فقط واقدام النساء عليها شين للمعارف والنساء معاً. الاَّ انهُ مع ذلك كان يوجد في ذلك الوقت جماعة قليلة من الناس تودّ ارتقاء المرأة وترى ان بالعلم والتهذيب قوام سلوكها اذ تنشأ على المبادي الحسنة والفضيلة الصحيحة والافكار الجيدة السامية. وان جهل المرأة اعظم الضربات على التمدن والانسانية والهيئة الاجتماعية وما هو الاَّ عبارة عن تمزيق الفضيلة واظهار مظاهر خارجية بهية حشوها افكار سامة مضرة بالمرأه نفسها وبمن حولها (البقية تأتي)

لا تنهَ عن خُلقٍ وتأتي مثلهُ

اطلعت في المصباح الاغر الذي يطبع في بيروت (في عدد ٨٢٧) على رسالة لمكاتبهِ الاسكندري بتوقيع "ع" عرّض فيها بذكر شباننا وطعن بآدابهم وسيرتهم وعزا اليهم ما لا يوافق حالتهم من الانحراف عن الدين والانصباب الى الملاهي والاجتماعات الهزلية وانصرافهم عن المجالس الادبية الى الحانات واماكن اللهو والمزاح الى غير ذلك مما ذكرهُ المكاتب وهو يردّد الاسف على حالة الشبان ويشكو من سيرتهم . وهو لعمري كلام لو تدبرهُ العاقل البصير وعرف مصدره لوجده موضعاً للانتقاد ووسيلة للوم الكاتب الذي جاء الاسكندرية فلم يجد من شبانها الاَّ صدوراً رحبة ووجوهاً باسمة . وما كان احراهُ بالاكتفاء بما ذكره من عدم وجود الجمعيات العلمية بل ليتهُ ذكر في عرض رسالتهِ الطويلة العريضة ان آخر جمعية لم تنفض الاَّ من ستة اشهر فقط وان جماعة من الشبان الاذكياء — وعينهُ التي وقع بها على رسالتهِ رأت ولكنها تعامت — مهتمة كل الاهتمام في تأليف نادٍ ادبي جديد وقد وُضع قانونهُ وسنّ نظامهُ واوشك اعضاؤهُ ان يعقدوا لهُ اول اجتماع ولكنهُ — اعزه الله — لم يرَ الاّ جانب المساوئ لاغراض في النفس ومآرب لا تخفى على الناقد البصير ولقد كان الاولى بهِ ان لا يحسب الجلوسَ في القهوة والذهاب الى الملعب وتناول كأس المدام عاراً على شبان الاسكندرية اذ انهُ اول من تبختر في القهاوي وقهقه في الملاعب وارخى في الحانات غرة من فوق الجبين تذري بغرر البنات . . . ولقد كان بودي الاَّ أتعرض للرد على ما جاء في هذه الرسالة ولكن ابى الحق الاّ ان يبهر نورهُ "عين" الباغي الذي

لم يكن شبان الاسكندرية ليحيدوا بهِ عن الصراط المستقيم لو شاء اتباعهُ . وعلامَ يشكو ويقول انهُ لم "يتشرف بزيارة مدرسة الجزويت" الأَّ من عهد قريب لانهُ لم يلقَ من بين الشبان من يتجاسر عليهِ بالسؤال عن مكانها "زه زه" . . . اي صاح لما هذا الزور والبهتان والى مَن من شبان الاسكندرية التجأْت ولم يأخذ بيدك الى مدرسة الجزويت — اصحابك الذين ترفع راية الثناء عليهم وتنشر لواء الدعاء لهم — ولمَ كل هذه المراوغة أَجهلت — وانت ادرى من ان نخبرك — ان اجرة المركبة من قهوة اوروبا — حيث تقضي اكثر نهارك — الى مدرسة الجزويت — التي اتخذت عدم تشرفك بزيارتها ذريعة للتطاول على رفاقك الادباء — لا تتجاوز الغرشين صاغًا . ام بخلت بهذه الاجرة على سائقي مركبات الاسكندرية الذين نتعلم منهم "النكتة" وماهذا العطاء الاّ بالشيء الزهيد مقابل ما تدعي انك تصرفهُ في السهرات ومايتدفق من معين جودك بين ايدي . . . . عفوًا لقد كدت ابوح بماوقف عنده قلمك حين تعمدت تسمية الاماكن التي تتزاحم (كاتزعم) على ابوابها اقدام شبان الثغر

وما اضحكني في رسالة هذا الكاتب الجديد خبطةُ في الحكم على هواء البلد وشوارعها وابنيتها وتجارتها ومدارسها وانديتها وما اشبه ذلك مما ظنهُ يوهم القراء بانهُ صاحب معرفة ونقد . فقل لي ياهداك الله من اين التقطت كل هذه الحقائق الباهرة . ام ظننت الناس اهلك واخوانك وكلما افتريت لديهم على العلم قالوا سبحانك . مهلاً ان سوق العلم لا تروج بالادعاء ومقام الاداب لا يهتز بالخيلاء ، فاعرف بحقك لغيرك مقامًا وارعَ لسواك حرمة وذمامًا واردع لسانك عن التنديد بكل من تناول اليراع من كتاب مصر

والشام والعراق وسائر اقطار العالم العربي وباساتذة اللغة وعلمائها وكتابها وشعرائها فلست بامام اللغة وواحدها انما انت احد طلبتها المبتدئين ولا يليق بان يكون اول سيرك الادعاء والتطاول كما رأت منك الهيئة الاجتماعية فعلمت مكانك من العلم وقدرتك حق قدرك

هذه كلمة اسوقها نصحاً لكاتبنا الجديد وعساه لا يحملها الأعلى محمل الاخلاص. اما جريدة المصباح فانني آخذ عليها وجهاً واحداً وهو نشرها تلك الرسالة مع ما فيها من الغثاثة وسوء الانتقاد بدون ان تتحرى وجه الحقيقة والصواب فان صدق الرواية من اول فروض الجريدة والسلام "محرز"

(الراوي) وردتنا هذه الرسالة من احد الادباء فلم يسعنا الا نشرها لاسباب اهمها اننا نرى الدفاع عن آداب شباننا فرضاً لازباً لا مناص منهُ . على اننا نتنصل مما جاء فيها وفي فاتحة حديث ثعلبة من الحدة في الجواب ونرجو الا يؤدي الى ما لا تحمد عاقبتهُ من التحامل علينا وقصد الوقيعة بنا وان يكون الردُّ — ان كان ثمَّ ما يدعو اليهِ — منزهاً عن الطعن الشخصي والكلام الخارج عن حدود آداب المناظرة التي تجب مراعاتها

عيد الخمسين

جاءنا من بيروت ان عدداً من علمائها ووجهائها الافاضل قد اجتمعوا للاحتفال بعيد الخمسين سنة من دخول حضرة الفيلسوف الفاضل الدكتور كرنيليوس فانديك ثغر بيروت . وسيتم ذلك في اول نيسان (افريل) من السنة الجارية بتقديم هدية فاخرة يرفعونها الى مقام الاستاذ الكريم وقد دعوا جميع السوريين الذين كانوا للاشتراك معهم في اظهار الامتنان وبيان الشكر . وسنجيء على تفاصيل هذا الاحتفال في اوانهِ ان شاء الله

الشهامة والحب

(تابع)

عذولاً يألف الغدر والخيانة والرياء

وكانت فيليس في خلال ذلك الكلام تنظر اليهِ نظرة كدر وغيظ يخالطها سرور وابتهاج . لانها مع ما كانت تشعر بهِ من ثقل وطأة الملام الذي لا مسوّغ لهُ وسوء التهمة التي لا داعٍ اليها لم تقدر ان تبطن فرحًا طفح على فؤادها لما رأت من شدة تعلق ريموند بها وحرصه على هواها فاغرورقت عيناها النرجسيتان بدمعة مسحتها باطراف البنان وقالت

— على رسلك يا ريموند واكسر من حدتك وغيظك فانك تجرح فؤادًا ما سلاك ونقطع نفسًا لا ترغب الاّ في رضاك ... تدّعي عليَّ بالخيانة وانت الذي قطع حبال المودة وترميني بالغدر وانت الذي خان الوعود ونقض العهود وسعى بالفراق وطلب البعد والنوى بعد القرب والاجتماع . افلم تهجر يا ريموند بيت ابي بالرغم عنه وعني غير مبالٍ بتضرعاته ودموعي ولا ذاكر حنوه وحبي . غادرتنا ناقضًا ودك ناكرًا عهدك رافضًا يدي مبغضًا لكل ما يذكرك احباء صادقين هم الذين سهروا على طفوليتك واعتنوا بتربيتك ولم يكفك ذلك حتى اعتقدت بنا الشر والسوء فرميتني بالخيانة واتهمتني بالغدر والرياء وامتنعت عن ان تصدقني في شيء غير راحم لهفتي ولا مبالٍ بدموعي ولوعتي فآهٍ ثم آه . تبدلت الامور وتغيرت الاحوال واستولى الضلال على قلوب الرجال فاين نور الهدى ينير هذا القلب التائه والنفس الضالة الشاردة عن مأوى صادق هواها ومحط رحال خالص حبها وغرامها ...

اما نوجان مرشد ريموند فكان واقفًا كالصنم الذي لا حراك بهِ ينظر اليهما باندهاش غريب واندهال عظيم متعجبًا لانقلاب حديثهما وتبدل موضوع كلامهما الاول وبعدهما عما بدآ بهِ واطرادهما خطة عتاب ولوم لم يكن لينتظر وقوعهما من الاثنين . ولم يكن عمره ذاق طعم الهوى ولا دخل قلبه الحب فكان يجهل اقوال الغرام لا يعرف شيئًا من لغة القلوب التي كان ينطق بها المحبان اللذين تلاقيا بعد هجر طويل . وكان لا يعلم

ايضاً ان للحب على قلب شخصين الفاه منذ الصبا سلطة تعود بهما دائماً الى الغاية الوحيدة والغرض الفرد الا وهو صفاء القلب والنية من كل ما يشوب كأس الحب و يعكر صافي مائه . فيا رحمة للمحبين انهم يقاسون ما لا تحمله صمّ الجبال ويستعذبون العذاب ثم لا يجدون في قلب الخليين رأفة ولا شفقة فالخلي لا يشعر بقوة الحب ولا يدرك عظم سلطانه ولا يعرف ان عند الحب يهون كل شيء حتى الحياة

ولما لمحت فيليس ان نوجان على عزم ان يقاطعها في حديثها اردفت تقول بلهفة وتحرق خفق لها قلب الشاب واضطربت كل جوارحه

— اجل يا ريموند انك غير منصف فانني لم ادرِ بقدوم الكونت دالبون الا منذ برهة قصيرة و بعد مفارقتي القصر فلم اره ولم اكلمه واست راضية بزواجي به ولن ارضى ابداً ولا أهب يدي لاحد من الناس فثق بما اقوله لك عن محض حب واخلاص ولاء لا يزالان لك في فؤادي انت حبيبه ومناه و رضاك من الدنيا سؤله ومشتهاه

— افي يقظة انا ام في منام . فيليس احق ماتقولين انك لا تحبين سواي

— هو الحق بعينه والصدق الذي لا ريب فيه فحبك يا ريموند حب ضل بي عن غرام سواك وهواك متمكن في حشاشة لا يسكنها الاك و رسمك منتقش على صفحات الصدر الولهان وذكرك دائم بين الشفتين واللسان وبعدك مسيل الدموع وفراقك ممزق الاحشاء والضلوع فارفق بحبيبة لا ترغب الاّ في صلاحك ولا تسعى الاّ في سبيل نجاتك وخلاصك واشفق على مسكينة تسهر الليل مصلية من اجلك شاكية الى الله جور الايام وتعاظم صدك ودلّك وانت هائم في ضلالك مصرّ على عنادك لا تذكر ماضياً ولا تنظر الى حاضرٍ ولا تفكر في مستقبل و بيدك زمام الامور وفي قبضتك مقاليد الاحوال وعلى كلمة من فمك تتوقف السعادة والهناء فقل تلك الكلمة التي تصير بها كاثوليكيًا وانا امرأتك ورفيقة حياتك وتعال نقضِ غابر هذه الحياة بالرفاه والمسرات يحيط بنا الشرف و يكللنا السناء وتصير بنا الارض فردوساً تحسدنا عليه السماء . تعال يا ريموند فذراعاي مفتوحتان لتضماك واعلم ان ما بعد ذلك الاّ العيشة الراضية والهناء الدائم والسعادة الابدية في الدارين معاً

وكان ريموند مصغياً الى ذلك الصوت الحنون اصغاء عاشقٍ ولهان منع عن الحبيب مدة اربع سنين ثم جمعته به الصدفة عن غير ميعاد. فكان لا يحول نظره عن محياها الوسيم

وهو ممسك بين كفيهِ يدها البيضاء فانسته تلك الساعة وجود مربيهِ بل نسي العالم والدنيا باسرها

واقام على تلك الحال برهة ضاع فيها رشادهُ ما بين الفرح بلقاء فيليس واضطراب فؤاده بما كانت تلقيه عليه من احاديث الهوى فكان على وشك ان يجيبها الى ما تروم بدون ان يعرف ما يقول . فلما رآهُ نوجان على تلك الحالة علم ان الحب تغلب على قوة جنانهِ وانهُ اصبح في حالة تحملهُ على ان يعد فيليس بكل شيء ويقبل بكل ما تعرضه عليهِ فاندفع من مكانه وامسك الفتى بذراعه فاوقفهُ بالرغم عنهُ وصاح بهِ :

— هلكت يا ريموند اذا بقيت هكذا دقيقة ثانية فتعال واتبعني ودع ياولدي خداع هذه الملقة . فانتصبت فيليس واجابتهُ بحدة

— انت المسئول عن هلاكهِ واعلم انني لم اتعن المجيء الى ههنا لاغراض طفيفةٍ فان الجامع التي تقودهُ اليها قد انكشف عنها ستار الخفاء . واول مرة يسير الى هناك تتبعهُ الجواسيس فيلقى القبض عليهِ ويقيد ويساق الى العذاب وتكون انت قاتله

— لا باس فانني اكون قد اكسبتهُ الاستشهاد في سبيل الدين القويم

— لا بل تكون قد صيرتهُ فريسة للعذاب والهلاك . ريموند ريموند انني انطرح على قدميك فاغسلهما بدموعي وامسحهما بشعر رأسي واستحلفك باسم سعادتنا القديمة في ودنا السابق باسم ذلك الغرام الذي لم نقوَ على اطفاء نارهِ ان ترجع اذا كنت تحبني عن دين العصاة الذي يقودك الى النطع والسيف . واذا كنت لا تشاء ان تمنحني الهناء العظيم والفرح بان اراك داخلاً في الدين الكاثوليكي فانقطع على الاقل عن الاجتماعات واهرب القوم المتعصبين الذين يهوّرون بك . . احيَ لاجلي يا ريموند احيَ اذا كنت تريد ان اعيش

— أتصيرين يا فيليس امرأة لي وتحملين اسمي اذا هاجرت من فرنسا وسرت الى بلاد الغربة حيث انادي بحرية بدين ابي وامي

— لا يمكن يا ريموند ان اكون زوجة بروتستنتي

— اذن فدعيني اموت

قال هذه وتبع مربيهُ الذي سار امامهُ رافعاً يديه وانظارهُ الى السماء . فجرت الفتاة على اثره وصاحت بهِ وفؤادها يتقطع كآبةً وغماً

— ريموند ريموند اسمع لي كلمة

— لا اريد ان اسمع لك شيئاً ياسيدتي فان حبك لي ولقد ابتته الان ليس الا هزء وسخرية

— رب انزل على قلبي الفصاحة وهب لساني معجزات البلاغة لاقنعهُ واثنيهُ عن غيهِ وامحُ اللهمَّ حبي من قلبهِ ان كان لا بد لعدلك من ضحية . ولكن فليجيَ

فلما سمع ريموند تلك الكلمات الخارجة من صميم فؤاد قطعهُ اليأس واحرقهُ الحزن والغم لفت نحوها متردداً بين التقدم والتأخر ثم رجع اليها وخاطبها هكذا

— لماذا ترومين ان احيى يافيليس ولمَ توجبين عليَّ الاعتناء والمداراة لشخص لم يجد في عينكِ حظوة

— ان المصائب تحف بك يا ريموند فلا بد من الشجاعة والاقدام . ولقد وضع على عاتق كل منا نيرٌ ثقيل يجب علينا احتماله بصبر وبما ان الله قد تركنا على الارض فعلينا ان نبقى الى ان يستدعينا وهو يأمرنا بالاعتناء بحياتنا فالسمع والطاعة لما بهِ يأمر فلا تنكرنَّ يا ريموند الا في امرٍ واحدٍ وليكن فكرنا فيهِ ثابتاً ومعتقدنا غير قابل للتغيير وهو ان حبنا باقٍ لا يحوّلهُ كرور الايام ولا يؤثر فيهِ تعاقب السنين والاعوام . وانا ساصلي من اجلك الليل والنهار ليدخل قلبك شعاع الايمان وانتظر . ولكنك تعدني ايضاً بالثبات على عهدي والبقاء على سابق حبي وودي . أفلا تعدني بذلك ياريموند .

— اعد يا فليس كل شيء في سبيل كلمة حب اسمعها من فيكِ . اجل بكل شيء اعدكِ ما خلا ترك اخوتي وثلم شرفي . واذا كانت الاخطار تحيق بهم أفيليق بي ان ارتكب الدناءة باهمالهم ومن وجهٍ آخر انكِ لم تصرحي لي عن تلك المخاطر بل تقولين ان قد كشفت اماكن مجتمعاتنا ولكننا غير مختبئين . ثم ان الجيوش تطاردنا . فاين لهذه الجيوش ان تلقي القبض علينا . ليس سوى في بيوتنا محاطين بالاباء والامهات وما يشكون منا وباي وزرٍ يتهموننا أثائرون نحن على الدولة ام نهاجم الملك في قصرهِ . ليس شيء من ذلك كلهِ وانما هم يمنعون عنا الهياكل ويحظرون علينا اتمام فروض مذهبنا فنجتمع في منازلنا ونصلي الى الرب الهنا . فاي اثم في ذلك واي وزر

— انا مقرَّة ياريموند باعتساف الناس معترفة باستبدادهم وبعدهم عن العدل والانصاف ولكن التجاءهم الى العنف والقسوة في الحالة التي نحن فيها ليس الا لمجد الرب

العليّ العظيم ولتقرير دينهِ القويم فلا الومهم على اعتسافهم ولا اواخذهم باستبدادهم . وانتم معاشر البروتستان تعصون الشرائع فان شريعتنا لا تجيز في فرنسا اعتناق مذهب غير المذهب الكاثوليكي وتعصون الملك لانكم ترفضون الطاعة لما يأمر به والخضوع لما يشاء فلذلك يرى لنفسه الحق بمجازاتكم كالعصاة المتمردين

فاطرق الكونت ساعة ثم رفع رأسه وقال

— وا بن تزعمين ان جيوش الملك ستداهمنا

— ستداهمكم الجيوش والعساكر بسهول نينوس على مقربة من حرش أندره في قصر دي لاشارس قصر ابي الذي يفتح لكم حارسهُ ابواب دوره الارضي

— نعم نحن نجتمع هنالك . ولقد قال الجواسيس الحقيقة بعينها وصدق الخائنون . فآه لو كنت اعرف بهم وادرى من هم لكنت اسقي الارض من دمهم واجعل لحمهم مأكلاً لذئاب الفلا ومطعماً لعقبان الجوّ

— انا على يقين من ان ابي يفعل ما في وسعهِ وطوقهِ لمنع وقوع مصاب مثل هذا ولكنهُ قد يجبر بالرغم عن انفهِ . فعليكم ان تتربصوا ريثما تنقشع الشكوك . فاقطعوا الان اجتماعاتكم وصلوا متفرقين كل رجل في منزلهِ . فاي فائدةٍ في استهدافكم لمعارضة قوّة اعظم واقوى جداً من قوتكم . واي جدوى في معاندة من لا تستطيعون ردع بطشهِ . . . .

والان فان الوقت قد فات دون ان نشعر بهِ وها انا راجعة عنك من حيث اتيت فكن واثقاً بعهد ودي ودوام صداقتي التي لا تعمل فيها ايدي الايام واياك والارتياب بي فانني لك ما حييت . . .

ولكن أتدعني ايها الحبيب ارحل عنك بدون وعد منك اكون معهُ على راحة وسلام

— كل ما اقدر ان اعدك بهِ يا فيليس هو انني انقل الى اخوتي ابناء مذهبي ما تنبئينني بهِ وان استخدم كل قوة سلطاني لانال من لدنهم ما تطلبين . وانني اشكر لك انعطافك نحوي واهتمامك بي . واثق بخلوص ودكِ وصدق قولك وآمل ان سيأتي يوم تؤثر فيهِ مصائبنا بقلبك فتمدي اليَّ يداً تمنعينها اليوم عني وتهبيني قلباً تضنين الان بهِ عليَّ . واذا كنتِ تشائين فانا اتبعكِ الى اقاصي الدنيا واسير معكِ الى حيث تحبين . والله واخوتي يصفحون عني اذا فارقتهم من اجلكِ لعلمهم بان حبكِ ديني وهواكِ مذهبي وعلى غرامكِ

احبى واموت

وعند ذلك اطلّ نوجان من الباب ودقت الساعة السابعة ونصف فقالت الفتاة

— انا راحلة ياسيدي ونفسي حزينة حتى الموت لان لا سلطان لي عليك ولا حظوة لديك فالوداع يارعوند الوداع يامن احبهُ فيعرض عني . . لست ادري اذا كنا نتلاقى بعدها في هذا العالم وانت تريد ان نفترق في العالم الاخر . ثم ارخت القناع وخرجت مسرعة والشاب يتبعها بدون ان ينوه بكلمة . فلما صارت في الشارع التفتت نحوهُ ومدت اليهِ يدها فقبلها ساكتاً وخطت للرحيل خطوات واعين الشاب تتبعها

وما ابعدت عنهُ حتى قفز من مكانهِ بغتةً وجرى وراءها قائلاً

— اسمحي لي يافيليس برافقتك فانني لا ادعكِ تذهبين في هذا الليل البهيم وفي مثل هذه الساعة دون رفيق يحرسك

— لست في حاجة الى حارس فان كلبي الامين الي جانبي وليس في المقاطعة من يجسر ان يمدّ اليّ يداً

— اذا كنتِ تأنفين صحبتي فانا اتبعكِ عن بعدٍ . آه واحر قلباهُ من تقلب الايام . فكم من مرّة سرتِ للنزهة الى جانبي تسندين يدكِ على ذراعي المضطرب فوق قلبي الخافق ومهجتي الحرّى

— متى شئت يا رعوند فطيب ايامنا يعود وغصن سعدنا يزهر

— لا تخاطبيني بهذا الكلام فانهُ يضيع رشدي ويذهب عقلي فدعيني يا فيليس دعيني اهجس بايام سعد مضت وليالي حب وصفاء انقضت ولم يبقَ الاّ تذكارها ذكراً يخص لفلة فؤادي ساعات كنا فيها ولا نبالي بالدنيا لا ننظر الاّ الى مستقبل رائق نحيي فيهِ متحدين متقاربين لا يفرق فيما بيننا الاّ الحمام

— اما انا فلا احب العود الى ذكرى تلك الايام ذكرى ينفطر لها قلبي الحزين وتذرب مهجتي القريحة . فانك يا رعوند بخروجك من بيت ابي اطرحت عنك الرضى بذلك المستقبل الذي تهجس بذكراه . فاه لو بقيت

— أتذكرين يا فيليس يوم خرجنا بصحبة نوجان ومدام داربس شقيقتك لزيارة ضواحي غرينوبل نندكان ذلك في هذا الفصل من السنة وبمثل هذه الساعة وكنا نسرع الخطى للوصول الى القصر كي لا ندع وسيلة لبلبال امنا . ولم يكن نوجان وشقيقتكِ

قادرين على اتباعنا فسبقت خيلنا افراسهم وابعدنا عنهم فلما صرنا في هذه البقعة التي نطأها الان اقدامنا اجفلت مطيتكِ

— وكدت لولاك اهوي الى الارض ولكنك اسرعت فاخذتني بين ذراعيك ورفعتني فاجلستني امامك على فرسك فانت مخلصي من الهلاك وعلى يدك كانت نجاتي من الهاوية التي كلما نظرت اليها اذكر فاشتاق واحن فابكي

تذكرت والذكرى تشوق وذو الهوى يتوق ومن يعلق به الحب يصبهِ

— وبعد ذلك بايام ثمانٍ قدم الاب سيلستين وبعدها بشهرين خرجت من قصر مونمور وبين جنبي دمعة امسكتها وفي فؤادي نار بيدي اضرمتها وهذه اول مرة منذ ذلك العهد تراك عيني ويشنف صوتك مسمعي

وكانا قد وصلا الى اعلى التل والبدر يشق كبد الفضاء باشعتهِ الذهبية فينير تلك الحقول والبراري السندسية والطبيعة بسكون وسكوت يبعثان الى النفس هاجساً يطير بها الى ما وراء العالم المنظور . فتوقفا هناك عن المسير ليمتعا النظر بجمال ذاك المنظر البهج وبعد سكوت افصح من كل كلام وقول دنت الفتاة من الحبيب وقالت

— اي ريموند . لقد حانت ساعة الفراق ونادى منادي النوى بالافتراق . فالوداع يا حبيبي ولتباركك السماء ويسبغ الله عليك اردان النعمة ويهبك السعادة التي طالما تمنيتها لي ولك . . . وساخبر الليلة ابي بمقابلتنا فما اقول له من قبلك

— قولي له بانني مقيم على قواعد الشرف الرفيع الذي رباني عليهِ محافظ على الدين الصحيح الذي القى اليَّ تعاليمهُ في صغري حافظ ذكرى ابي الذي اصلي من اجلهِ

— ريموند . . .

— لا اظن اباكِ يعدُّ ذلك عليَّ ذنباً فانهُ هو الذي علمنيهِ ودعاني اليهِ

فاجابت فيليس والحزن يمزق احشاءها والعبرات تخنقها

— استودعك الله واياهُ اسأل ان يتولى حراستك

قالت ذلك بصوت منقطع وسارت نحو القصر الذي كانت على مقربة منهُ وكانت كلما تقدمت زاد بها البكاء حتى بلل الدمع محياها وزادها الحزن رونقاً وبهاء . ومما كان يزيد همها في تلك الساعة الهائلة ساعة اليأس والقنوط ما كانت تعلمه من تشبث ريموند في مذهبهِ ورسوخ قدمها في ايمانها فلا هو يغير معتقدهُ ولا هي تجحد الكثلكة . ولما

صارت على مقربة من باب القصر وقفت لتمسح دمعها الهامل وتسكن اضطراب قلبها الواجف ولكي تصغي بالاكثر لوقع اقدام ريموند الذي تراجع من مكانهِ بعد ان اتبعها النظر حتى غابت عن بصرهِ . فلما انقطعت حركة اقدامهِ واخذ اضطراب قلبها بالسكون دخلت عرصة القصر فصعدت الى غرفتها لتلقي على مرآتها نظرة وحينئذٍ قرع ناقوس العشاء فنزلت الى غرفة الاكل فتزايد اضطرابها ونما بلبالها لان اول شخص وقعت عينها عليهِ كان الكونت دالبون

الفصل الثامن

قلب والدٍ

فلما دخلت فيليس قاعة الطعام خفّ الكونت دالبون الى لقائها وحيّاها بلطف معربًا عن شوقهِ الى لقائها وروءياها وزاد على ذلك قولهُ :

— ولكن الاب سيلستين اخبرني بان باب مخدعكِ ممنوع عن الجميع فلم اجسر على أزعاجكِ

فشكرت لهُ فيليس حسن مقاصدهِ بادبٍ يخالطهُ فتور وعدم اهتمام ولكنها لم تعتذر اليهِ ولم تبدِ لامتناعها من سبب

ثم رفعت ابصارها فصادفت مدام ديزولير مصوبةً نحوها لحاظها تومىء اليها بالدنو منها فلما صارت الى جانبها استقبلتها باسمة وقالت

— تهربين يا مليحة من لا يليق بكِ ان تعاملي تزاحمهم على الاجتماع لكِ بالاحتجاب عنهم . ولقد وجدت ابنتي عوضًا عنكِ بمعاشرة شقيقتكِ اما انا فاي عوض اجد واي بدلٍ اتخذ

— عفوًا سيدتي فانني كنت متألمة من صداع قويّ الزمني الاحتجاب

فنظرت مدام ديزولير الى الفتاة نظرة معنوية وقالت

— وهو الذي حملكِ على الخروج لاستنشاق الهواء النقي وتخفيف الالم افاصبتِ ما خرجتِ تطلبين

— خفف الخروج بعض ما كنت اقاسيهِ فشكرًا لكِ (البقية تأتي)